اهمية العلوم المساعدة في كتابة التاريخ

أ.م.د. نزار علوان عبدالله
كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

The Significance of Assistive Sciences in the Writing of History

Asst. Prof. Dr. Nazar Alwan Abdullah
College of Education| University of Al-Mustansiriya
Nazar12933@gmail.com

Abstract

History is simply defined as the quest for the realization of the human past and its revival. But to recall this past means precisely to study history,and to study history means to express awareness of history through historical means of knowledge, and the historian is the one who brings about historical knowledge. He had to basically rely on history and its original sources without thinking of any other sources possible to help him. This vision prevailed in historians' studies that appeared before the nineteenth century, but this thing has changed in the beginning of the said century and the historian became in need for some assistive sciences to be able to date events properly and show clearly all their sides and be able to use sources and references precisely. The historian's career is similar to most of the other careers as it is impossible to practice it without having the indispensable basic supplies for success in work. History cannot independently search of all other sciences and knowledge because it deals with all areas of human activity. Some nineteenth century French scholars have referred to the relationship of history with various kinds of human and social sciences such as Daunou and Mably. They demanded the historian or the one who dates and event, to study a wide range of sciences and knowledge, including political, literary, economic, natural, anthropology, sociology, language, philosophy, law and geography. Others were too radical to decide that the historian should know almost everything.

These calls for full knowledge of the various sciences and knowledge of those studying history in came from the sense that historical writing is subject to a variety of topics, that the researcher or author who addresses them needs wide culture and knowledge. so that he can do his job well.

Keywords: Assistive Sciences, Historical Writing, Humanities, Social Sciences.

الملخص

التاريخ بأبسط تعريفاته هو السعي لأدراك الماضي البشري واحيائه، على ان استحضار هذا الماضي يعني على وجه الدقة دراسة التاريخ، ودراسة التاريخ تعبر عن الوعي بالتاريخ من خلال وسائل المعرفة التاريخية، ومن يجلب وسائل المعرفة التاريخية هو المؤرخ الذي يبحث عن الحقيقة ومن اجل وصوله الى تلك الحقيقة وجب عليه ان يعتمد على التاريخ ومصادره الاصلية بالدرجة الاساس دون ان يفكر باي مصادر اخرى ممكن لها ان تعينه، وقد سادت تلك الرؤية عند المؤرخين في دراساتهم التي ظهرت قبل القرن التاسع عشر، لكن ذلك الامر قد تغير عند مطلع القرن المذكور واصبح الباحث في التاريخ بحاجة لبعض العلوم المساعدة حتى يستطيع ان يؤرخ الاحداث بشكل سليم ويجلي كل جوانبها ويتمكن من استخدام المصادر والمراجع بشكل دقيق، فمهنة المؤرخ تشبه معظم المهن الاخرى، اذ يستحيل ممارستها من غير ان تكون لدى المرء المستلزمات الاساسية التي لا غنى عنها للوصول للتقدم والنجاح في العمل، فالتاريخ لا يمكن ان يبحث مستقلا بذاته عن سائر العلوم والمعارف المختلفة. لأنه يتناول جميع مجالات النشاط الانساني، وقد تطرق بعض علماء القرن التاسع عشر من الفرنسيين الى علاقة التاريخ بمختلف انواع العلوم الانسانية والاجتماعية امثال دونو (Daunou) ومابلي (Mably)، فطالبوا الباحث في التاريخ او من يؤرخ لحدثا ما ان يقوم بدراسة مجموعة كبيرة من العلوم

والمعارف التي تشمل العلوم السياسية والادبية والاقتصادية والطبيعية وعلم الانسان وعلم الاجتماع واللغة والفلسفة والقانون والجغرافية، كما ان البعض الاخر غالى في التطرف فقرر بان على المؤرخ ان يعرف كل شيء تقريبا.

لقد جاءت تلك الدعوات المطالبة بالإلمام الكامل بالعلوم والمعارف المتعددة لمن يدرس التاريخ من منطلق ان الكتابة التاريخية تتعرض الى موضوعات متنوعة، يحتاج الباحث او المؤلف لمعالجتها ثقافة وعلم واسع. ليستطيع ان يقوم بمهمته على خير وجه.

الكلمات المفتاحية: العلوم المساعدة، الكتابة التاريخية، العلوم الانسانية، العلوم الاجتماعية.

أولاً: منهج البحث التاريخي واستقلالية الكتابة فيه

أن دراسة التاريخ والكتابة فيه تعني تسجيل الأحداث الماضية وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة عرفت بمنهج البحث التاريخي وهو المنهج الذي استخدمه الباحثون في التاريخ الذين أرادوا معرفة الأحوال والوقائع التي جرت في الماضي[1].

وقد استمر هذا المنهج يعمل مستقلا بذاته دون اشراكه لأي تخصص أو علم آخر أثناء تفسيره لحركة التاريخ وتطورها معتمداً بالدرجة الأساس على مصادر التاريخ في الوصول الى الحقيقة التاريخية وهي رؤية تقليدية **اعتمدت** من قبل المؤرخين في العهود التي سبقت القرن التاسع عشر عند تأريخهم لحدث ما[2].

ولكن في بداية القرن المذكور ظهرت دعوات من قبل بعض العلماء من المهتمين بدراسة التاريخ طالبت المؤرخ بأن يكون ملما بمعارف وعلوم متعددة ويعد(Mably) أبرزهم إذ اشار في كتابه ((مبحث في دراسة التاريخ)) الى وجود دراسات تحضيرية لا يمكن للمؤرخ ايا كان أن يستغني عنها، وحددها بالقانون الطبيعي، والقانون العام، والعلوم الأخلاقية، والسياسية))[3].

كما تساءل دونو(Daunou) في كتابه((محاضرات في الدراسات التاريخية)) عن ماهية الدراسات التي يحتاج اليها من يكرس نفسه لكتابة التاريخ، وما هي المعارف التي لابد أن يكون حصل عليها ليبدأ العمل وهو آمل في النجاح، وقد قسم الدراسات التمهيدية المساعدة للمؤرخ الى ثلاثة أجناس، هي الدراسات الأدبية، والدراسات الفلسفية، والدراسات التاريخية، وبين في هذا الصدد أن الموضوعات التي يتعرض المؤرخون لدراستها والتفصيلات التي يصادفونها تقتضي معارف واسعة جداً ومتنوعة كل التنوع[4].

وذهب آخرون الى مطالب تجاوزت المطالب التي وردت في مؤلفات مابلي ودونو لمن يدرس التاريخ، فنجدهم أنساقوا الى معارف أخرى أكثر توسعاً ويأتي في مقدمتهم المؤرخ الانكليزي أدورد أوجستين فريمن (E.A. Freeman)، الذي كان يرى بأن على المؤرخ أن يعرف كل شيء الفلسفة والقانون والمالية والأجناس والجغرافية وعلم الانسان والعلوم الطبيعية[5].

وجميع مؤلفي القرن التاسع عشر من الذين أشرنا إليهم ينطلقون من عدة اعتبارات في وجهة نظرهم التي طالبت المؤرخ بأن يكون واسع الإلمام بالعلوم المتعددة، ويمكن أن نحدد هذه الاعتبارات بالنقاط الآتية:

1- لا يمكن للمؤرخ مهما كانت مكانته العلمية أن يستغني عن العلوم المساعدة بوصفها دراسات تحضيرية تساعده في أجلاء كل جوانب التاريخ، والكتابة فيه واستخدام مصادره مراجعة بشكل سليم[6].

2- أن منهج البحث التاريخي يمكن توظيفه في مجالات متعددة فالى جانب أمكانية تطبيقه على مادة التاريخ باستطاعة الباحث أن يطبقه في اجراء بحوث في الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والقانون والطب للوقوف على الحقائق القديمة وصدقها، ومدى ارتباطها بالمواد المتصلة بها من قريب أو بعيد[7].

---

(1) ر.ج. كولنجود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1961، ص41.
(2) لأنجلو اوسينوبوس، بول ماس، أمانويل كنت، النقد التاريخي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط4، 1981، ص29.
(3) المصدر نفسه، ص27- ص28.
(4) المصدر نفسه، ص27-29.
(5) ميمونة ميرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، عمان، دار الخليج، 2010، ص102-103.
(6) المصدر نفسه، ص101.
(7) يوسف مصطفى القاضي، مناهج البحوث، وكتابها، الرياض، دار المريخ للنشر، 1979، ص106.

3- أن معظم الظواهر التاريخية لا يفسرها سبب واحد تفسيراً كافياً بل هنالك علوم أخرى تساعد في تفسيرها، وهذا يتطلب من الباحث في التاريخ الرجوع اليها[1].

4- بقدر ما تتعدد الفروع الخاصة في المعارف التي يكون المؤرخ ملماً بها يكون أكثر استعداداً لعمله الذي أتخذه مهنة له باعتبارها مهنة تشبه معظم المهن الأخرى، حيث يستحيل ممارستها دون أن تكون لدى المر المستلزمات الأساسية التي لا غنى عنها للوصل الى النجاح في العمل[2].

لم تجد تلك الدعوات التي حملت لواء الدفاع عن أهمية العلوم المساعدة في دراسة التاريخ أطاراً واضحاً للتطبيق، فهنالك من أستخف بها وأعتبر أن التاريخ منهج خاص بذاته وأن دراسته يجب أن تكون مستقلة[3]. وقد أسس دعاة الاستقلال لأنفسهم مدرسة خاصة في التاريخ عرفت بأسم المدرسة المنهجية قدس مؤرخوها الواقعة التاريخية لذاتها ولم يحبذوا أشراك أي علم آخر في تفسير وقوعها[4].

ثانياً: التقدم العلمي واثره في تطور الكتابة التاريخية

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى دشن المؤرخان الفرنسيان لوسيان فيفر ومارك بلوك مشروعاً مشتركاً لتطوير التاريخ انتهى الى إنشاء مدرسة تاريخية جديدة ظهرت الى الوجود في عام 1919 تهدف الى تشجيع وحدة العلوم الإنسانية، ولتجسيد مشروعهم الجديد دخلا في نقاشات وعلاقات مع باقي التخصصات الأخرى، كما أسسا دورية عرفت باسم(حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي)، جعلا في ادارتها متخصصين من باقي التوجهات المعرفية الأخرى، أمثال الجغرافي البير دومانجون، وعالم الاجتماع موريس هالبواكس، وعالم الاقتصاد شارل ريست، وعالم السياسة أندريه سيغفريد[5].

بفضل فيفر وبلوك ساد فهم جديد للبحث التاريخي شكل قطيعة جذرية مع المدارس التاريخية الأخرى ولاسيما المدرسة المنهجية، لقد أختفى التاريخ التقليدي الذي يهتم بصورة خاصة **بالأفراد** وبالفئات العليا من المجتمع وبنخبة الملوك ورجال الدولة وقادة الثورات وبالوقائع والحروب، فبرز عكس ذلك التاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي[6].

ومع تنامي الثورة التكنولوجية الهائلة التي تصاعد مسارها في النصف الثاني من القرن العشرين برزت الى الوجود ضرورة ملحة في دراسة التاريخ تقوم على أشكال جديدة من التحليل، فالعولمة الاقتصادية وعولمة الاتصالات والمعلومات التي تسببت بظهورها تلك الثورة أدت الى ضرورة اعادة توجيه الخطاب التاريخي ليتلاءم مع وعي جديد للزمن التاريخي[7].

وبذلك فأن التحولات التي نجمت عن التقدم العلمي رفضت دراسة التاريخ على أسس تقليدية ضيقة، وفي نفس الوقت شجعت الاقتراب من العلوم الاجتماعية والانسانية المختلفة[8]، وهنا أدرك المؤرخون الذين قطعوا وقتاً طويلاً في الدفاع عن استقلالية التاريخ خطأ هذا المنهج، وأنه في حقيقته ينطوي على سوء فهم لشروط التطور، فكل علم أو فرع من فروع المعرفة يعتمد على علوم وفروع أخرى فهو يستمد حياته منها ويدين لها شعوريا أو لا شعورياً بمقدار كبير من التقدم[9].

ولعل أهم الآثار التي تسبب بها انفتاح التاريخ على العلوم الأخرى هي أحياء فكرة أن التاريخ هو علم على نحو ما دعت اليه المدرسة الوضعية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، إذ توصل المؤرخون بعد مقارنة قضايا علم التاريخ بما يوازيها في العلوم

---

(1) رحيم يونس العزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، عمان، دار دجلة، 2007، ص80.
(2) عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، اصول البحث التاريخي، بيروت، دار المدار الاسلامية، 2004، ص41.
(3) ميمونة ميرغني حمزة، المصدر السابق، ص103.
(4) خالد طحطح، الكتابة التاريخية، المغرب، دار توبقال للنشر، 2012، ص86.
(5) المصدر نفسه، ص85-86.
(6) المصدر نفسه، ص86-87.
(7) فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009، ص154.
(8) فرانسو دوس، المصدر السابق، ص154.
(9) هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، بيروت، دراسة الكتب العلمية، 2007، ص461.

الاجتماعية والانسانية الى وجود قواسم مشتركة بينهما وهي تمثل مجالاً رحباً للتعاون وتبادل الخبرة من أجل تطوير مستوى الدراسة والبحث العلمي[1]. وقد ساعد ذلك على مناقشة الافكار والمناهج التي عرضها علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم الاقتصاد وعلم السكان وعلم النفس وعلم السياسة وغيرها ومحاولة الاستفادة منها في ضوء الطبيعة الخاصة لعلم التاريخ، الامر الذي أنعكس على اكتشاف أنواع متنوعة من الافكار وطرقاً متعددة من المعالجات الجديدة التي سادت الرغبة في الرجوع اليها نتيجة لعدم تقبل الطرق التقليدية القديمة في دراسة التاريخ[2].

وفضلاً عما تقدم فأن المؤرخ هو بالأساس واقعاً تحت تأثير العلوم المشار اليها، فإذا مابلور أفكار ومفاهيم فهو يتصرف وكأنه فيلسوف، وإذا ما أخرج للناس سرديات كبرى فهو يتصرف وكأنه أديب وإذا ما قام بتشريع وقائع اجتماعية فهو يتصرف وكأنه عالم اجتماع، وإذا ما وصف أحداث حقيقية فهو يتصرف وكأنه صحفي، وإذا ما صاغ تراجم لشخصيات كبيرة فهو يتصرف وكأنه عالم نفس، وإذا ما عالج معطيات رقمية فهو يتصرف وكأنه **إحصائي**، وإذا ما درس السكان فهو يتصرف وكأنه ديموغرافي[3].

هذه المعطيات هي التي دعت الى الأخذ بمفهوم العلوم الاجتماعية والانسانية الأخرى وأساليبها الفنية وتطبيقاتها في الدراسات التاريخية والاتصال المستمر بين المؤرخين وغيرهم من علماء الاجتماع وعلماء الانسان، فالمؤرخ يحسن صنعاً لو تعرف الى ما يفعله العلماء الآخرين وبخاصة في الميادين التي تكون فيها خطوط البحث موازية لخطوط بحثه[4].

وتختلف أهمية العلوم المساعدة لدراسة التاريخ تبعاً لتخصص المؤرخ في أي جانب من جوانب التاريخ يدرس وفي أي عصر من العصور تكون الدراسة، فالعلوم المساعدة اللازمة لدراسة تاريخ اليونان والرومان تختلف عن العلوم المساعدة اللازمة لدراسة التاريخ العربي الاسلامي أو عصر النهضة الاوربية، أو تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، ولا فائدة ترجى من معرفة علم الخطوط القديمة لمن يقوم بأبحاث تتعلق بالدولة العربية في العصر الاموي، أو بدراسة الثورة الفرنسية مثلاً، لذا فأن العدة الاولية لكل من يريد أن يقوم+ بأبحاث أصيلة في التاريخ يجب أن تتألف من الثقافة العامة وجميع المعارف الكفيلة بتزويده بوسائل الكشف عن الوثائق ونقدها وفهما[5].

وهكذا يمكن القول بأن اعتبارات التقدم العلمي التي اجبرت المؤرخ أن ينفتح على العلوم الأخرى أصبحت جزءاً لا يتجزء من الدراسة في التاريخ، كما أسهمت في تخطي الاهتمامات التاريخية من الجوانب السياسية الى مختلف جوانب الحياة لاسيما الاقتصادية والاجتماعية منها[6].

ثالثاً: العلوم والمعارف الرافدة للتاريخ

وكما أشرنا سابقاً فلابد للمؤرخ العصري من التبحر في العلوم الاجتماعية والانسانية إذا ما أراد أن ينظر الى باطن المجتمع الماضي ليتوصل الى العوامل الاساسية التي أثرت في عقول السلف، ودفعتهم لأحداث ما حدث من وقائع، أن كانت في الحرب أم في السلم، وقد أظهر علماء الاجتماع وعلماء الانسان كل في دائرة اختصاصه أن كل حادث مضى، أنما هو مظهر لقوى شتى، اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغير ذلك تضافرت في ابرازه الى حيز الوجود، ولذا كان محتماً على المؤرخ المدقق إذا ما أراد فهم حقيقة الماضي أن يحيط علماً بهذه القوى، وأن يطلع على نتائج أبحاث العلماء في جميع العلوم الاجتماعية والانسانية[7].

ويمكن أن نبين أهمية تلك العلوم بالنسبة لدراسة التاريخ وكما هو واضح من التسلسل الآتي:

---

(1) المصدر نفسه، ص462-463.
(2) المصدر نفسه، ص462-463.
(3) الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 2013، ص16.
(4) هيوغ اتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة: محمود زيد، دار العلم للملايين، ط2، 1982، ص20 و23.
(5) عبد الواحد ذنون طه، المصدر السابق، ص42.
(6) هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، الموصل، جامعة الموصل، مديرية دراسة الكتب للطباعة والنشر، 1988، ص17.
(7) أسد رستم، مصطلح التاريخ، الجيزة، مركز تراث للبحوث والدراسات، 2015، ص63.

1- علم الجغرافيا

تعد الجغرافيا من أهم العلوم الاجتماعية المساعدة لدراسة التاريخ فالعلاقة وطيدة بين ما يحدث للإنسان في بيئته وبين الأحداث التاريخية، كما أن الحدث التاريخي الذي يقع في زمان بعينه لابد وأن يتم في مكان بعينه، والبيئة والانسان هما موضوع التاريخ، وهنا يتضح الدور الذي تلعبه الظواهر الجغرافية في التأثير على مجريات الأحداث، فكم من الظواهر الطبيعية والجغرافية كانت من العوامل الحاسمة في تغيير نتيجة حرب من الحروب كما أن للبيئة الجغرافية اثرها في هجرات الانسان واستقراره حول الأماكن الخصبة وحول الوديان والانهار، الأمر الذي أدى الى قيام أولى الحضارات الانسانية في تلك الاماكن، ففي مصر مثلاً كان لنمو نبات البردي اثره في حضارة مصر القديمة فالإنسان المصري القديم توصل الى استخدامه في الكتابة ليسجل عليه صفحات خالدة من التاريخ الانساني، وفي العراق استخدم الانسان الواح الطين ومن ثم ابتكر الخط المسماري ليطوع بذلك البيئة الجغرافية لخدمته[1].

2- علم النفس

أن اعتلال أو سلامة نفسيات رجال السلطة والوجهاء في المجتمع كالحكام والوزراء والاعلاميين والأساتذة له أثره الكبير على حركة التاريخ بما يصدر عنهم من تصرفات تؤثر تأثيراً حسناً أو سيئاً في مجتمعاتهم، فالمؤرخ الذي لا يفقه علم النفس لن يتمكن من تحليل الوقائع التاريخية التي تنشأ بسبب تغير نفسيات الفئات التي أشرنا اليها [2] لذا فأن العامل النفسي في دراسة التاريخ مهم جداً لأنه يسهم في تحليل الدوافع الكامنة وراء كل فعل أو سلوك يصدر من الفرد، أما اهمال ذلك والأخذ بالنظرة الآلية لتسلسل الأحداث قد يؤدي الى الوقوع في اخطاء جسيمه اثناء البحث التاريخي[3].

3- علم الانسان:

ربما كان علم الانسان (الانثروبولوجيا) من أكثر العلوم الاجتماعية صلة بالتاريخ، فهو يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري وانتشار بني الانسان على سطح الارض، ونشوء الثقافات الانسانية، كما يدرس مؤسسات المجتمعات الأولى، وأديانها وفنونها وطقوسها وشعائرها وقيمها، ونظرتها الى الحياة وتقاليدها، وخلاصة القول أنه يهتم بحضاراتها جملة وتفصيلاً، لذا فأن الاهتمام بهذا العلم لمعرفة أصول المجتمعات مفيد جداً لدراسة التاريخ الذي يهتم هو الآخر بالإنسان والمجتمع[4].

4- علم الاجتماع

يعد علم الاجتماع أيضاً من العلوم المساعدة للتاريخ فهو يدرس الانسان من خلال التعرف على القوانين التي تتناول أفعال الناس وعلاقاتهم ببعضهم، وما يتصل بذلك من مظاهر التغيير الاجتماعي، وهذا ما جعل علم الاجتماع على صلة بالتاريخ، فالمؤرخ يحتك بعلم الاجتماع من خلال دراسته للتغيير الاجتماعي الذي حدث في الماضي، وتتبع حركة المجتمع داخل الإطار الزمني، كما أنه مضطر للتعامل مع علم الاجتماع حتى في قراءة النصوص وتفسير الأحداث التي لها صلة بالنظم والعادات ليتمكن من فهم التطورات من خلال غاياتها ومراسيمها الاجتماعية[5].

5- علم الاقتصاد:

هو من العلوم الاساسية التي يساعد الالمام بها على دراسة وفهم التاريخ، إذ أن العوامل الاقتصادية ذات اثر فعال في سير التاريخ، فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدد نوع الانتاج الزراعي والصناعي، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه، وطريقة توزيع الثروة أو

---

[1] فتحية عبد الفتاح النبراوي، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، القاهرة، دراسة الآفاق العربية، ط2، 1996، ص23-24.
[2] محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، جدة، نشر وتوزيع الامة، 2016، ص140-141؛ محمد بن موسى الشريف، إعداد المؤرخ الثقة، القاهرة، دار التوزيع والنشر، 2013، ص51.
[3] ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2000، ص21.
[4] عبد الواحد ذنون طه، المصدر السابق، ص61.
[5] ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق، ص22.

الاموال ومدى تركزها في يد طبقة أو طبقات متعددة، ومدى تأثير ذلك على السياسة الداخلية لدولة ما، وعلى نظام الحكم فيها. وفي مستوى الرخاء والفقر، وفي حياة الشعب، وفي علاقة طوائفه بعضها بعض وفي مستوى العمران والنهوض الحضاري[1].

فبدون العامل الاقتصادي يصعب على المؤرخ أحياناً من رصد الواقعة التاريخية ضمن السياق العام لتطور الأحداث فالظروف الاقتصادية لها تأثير في تفسير الحروب وتطور العلاقات الدولية وفي قيام الدولة وانهيارها[2]، وخير مثال على ذلك انهيار دولة المماليك مطلع القرن السادس عشر وفشلها في التصدي للبرتغاليين بسبب ضعفها الاقتصادي بعد أن فقدت ما كانت تجنيه من رسوم وضرائب من التجارة العابرة عبر أراضيها اثر تحول تلك التجارة نحو طريق رأس الرجاء الصالح[3]. كذلك نجد بأن الانقلاب الصناعي الذي حدث في أوربا في القرن الثامن عشر أملى على دول أوربا الغربية سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام ولإيجاد اسواق لتصريف المنتجات الصناعية [4].

6- الفلسفة:

لا يمكن للمؤرخ من تفهم سير الأحداث إلا من خلال التصور الفلسفي أو التطور الفكري الحضاري، وهذا ما جعل المفاهيم الفلسفية ضرورية لفهم سير التاريخ وتفسير أحداثه، فالتاريخ بدون فلسفه لا يمتلك الرؤية الشاملة والمفهوم المنطقي والتفسير العقلي، كما أن الفلسفة بلا بعد تاريخي تفقد المدى الزمني الذي بدونه تنتفي الرؤية ويبطل التفاعل، وهذا ما يجعلنا نقر بأنه لا منطق في التاريخ بدون فلسفه، ولا مضمون للفلسفة بدون تاريخ، فإذا كان التاريخ محتوى للفلسفة فأن الفلسفة هي النظارة التي تبرز الرؤية الذكية للتاريخ وبدونها يصبح المؤرخ قاصر النظر ومحدد الافق[5].

7- اللغة:

تعد اللغة من أهم العلوم المساعدة لدراسة التاريخ إذ لابد للمؤرخ من أتقان لغة العصر الذي يكتب به حتى يستطيع أن يعبر تعبيراً دقيقاً سليماً عما يكتب[6]، لأن الترجمات التي تكفي لتحصيل الثقافة العامة لا تفي حاجة المؤرخ على تفهم الناحية التي يريد أن يتناولها، فالراغب في الكتابة عن جانب من تاريخ اليونان القديم لابد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة، والراغب في الكتابة عن موضوع من تاريخ العصور الوسطى في أوربا يلزمه أن يكون عارفاً بلاتينيتها، ومن يرغب في الكتابة عن تاريخ عصر النهضة لابد له من معرفة اللغة الايطالية وهكذا، وهذا ما يمكن أن نسميه بعلم اللغة(الفيلولوجيا) [7].

كذلك ينبغي على الباحث في التاريخ أن يلم بأكثر من لغة أوربية من اللغات الحديثة الشائعة الاستعمال كالإنكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والاسبانية، وأن قصر في معرفة بعضها فيمكنه أن يواظب على دراستها حتى يبلغ المستوى الذي يتيح له فرصة الافادة منها[8].

وفضلاً عن ما تقدم يحتاج المؤرخ أيضاً علم قراءة الخطوط القديمة، وهو من العلوم المساعدة للتاريخ، ولاسيما في دراسة الحضارات القديمة الكبرى مثل قراءة الخط المسماري الخاص بحضارة وادي النيل، والخط المسند الخاص بكتابات الدول العربية الجنوبية في شبهه الجزيرة العربية، والخطوط اليونانية والرومانية القديمة، والخطوط الاوربية في العصور الوسطى، فالذي يريد

(1) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف، ط11، 1993، ص36-37.
(2) ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق، ص20.
(3) ميمونة ميرغني حمزة، المصدر السابق، 108.
(4) حسن عثمان، المصدر السابق، ص37.
(5) ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق، ص21.
(6) فتحية عبد الفتاح النبراوي، المصدر السابق، ص221.
(7) حسن عثمان، المصدر السابق، ص27.
(8) المصدر نفسه، ص26.

التخصص في تاريخ العرب قبل الاسلام من خلال دراسة أحد الدول العربية الجنوبية كالسبأية أو الحميرية مثلاً يجب عليه أن يتعلم الخط المسند[1].

ويمكن القول بأن اللغات من العلوم الموصلة التي تمكن المؤرخ من ضبط أحداث التاريخ وفهمها فهماً معمقاً بحيث يسهل عليه نقد وتحليل الظاهرة التاريخية في اطارها التاريخي الصحيح[2].

8- الكومبيوتر وعلم التوثيق:

وهو العلم الذي يهتم بالعمل التوثيقي نفسه وحفظ المعلومات التاريخية وغير التاريخية، وهو علم تجميع واختزان وتنظيم المواد والوثائق المدونة لتصبح في متناول الباحث، و يعرف ايضاً بفن استخدام المعلومات المتخصصة من اجل تقديمها ونسخها واسترجاعها في الوقت المناسب، وذلك بهدف الوصول الى الحقائق والى الاستدلال والبرهان على رأي أو حالة من الحالات[3].

فالمؤرخ في الوقت الحاضر لا يمكنه الغوص في عشرات الالاف من الوثائق والمخطوطات والمصادر والكتب والدوريات دون أن تكون هذه المستندات محفوظة موثقه لها أرقام ورموز معينة في العقل الالكتروني (الكومبيوتر) أو محفوظة بواسطة اقراص مدمجة وعند حاجة الباحث لأي مصدر يستطيع أن يحصل عليه من خلال الرقم الخاص بالمصادر وفي دقائق تستحضر له المادة المطلوبة، في حين أن الطريقة التقليدية في البحث عن المصادر واستحضارها قد تحتاج الى ساعات وأيام[4].

9- العلوم السياسية والدراسات الحقوقية:

وهي العلوم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، وقد حرصت بعض كليات **الآداب** والعلوم الانسانية في الكثير من جامعات العالم على ربط التاريخ بالعلوم السياسية، وبات لازماً على طالب التاريخ دراسة بعض المواد في العلوم السياسية، وكما أن العلوم السياسية مساعدة للتاريخ في امداده في التفسيرات والوقائع السياسية فأن التاريخ بدوره مفيد للعلوم السياسية في أمداده بالمعلومات واسباب ونتائج الوقائع التاريخية[5].

ومن المعروف أن من ضمن ما يهتم به علم السياسة دراسة المؤسسات السياسية والهيئات الحكومية والنظريات والمعتقدات الايدولوجية في مختلف البلدان الديمقراطية والشيوعية واساليب الحكم، كما أن العلاقات الدولية ناحية من النواحي التي يعنى بها علم السياسة فكل هذه الاهتمامات لعالم السياسة تمتزج مع اهتمامات المؤرخ ولا يفصل بين التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية إلا الفترة الزمنية التي يتناولها الباحث غير أن المؤرخ قد يفيد في هذا الميدان من دراسة انماط التحليل والمنهجية عند عالم السياسية[6].

أما الدراسات الحقوقية فلها ايضاً ارتباط وثيق بالتاريخ، ولا يمكن مطلقاً أغفال اهميتها، فالحقوقي يدرس عادة القوانين الرومانية واليونانية القديمة أو الدساتير والتشريعات الانكليزية والفرنسية والامريكية، فهو يستفيد ممن النواحي القانونية وفي تطور القوانين والدساتير في حين أن المؤرخ يوظف هذه التشريعات لدراسة التطور التاريخي وربطها **بالأحداث** السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي فرضت تلك التشريعات أو تعديلها أو تطويرها أو الغائه[7].

10- علم(D.N.A) والطب الجنائي:

استطاع علماء مؤسسة سيتوس وهي شركة لهندسة الجينات في ايمرفيل في كاليفورنيا بابتكار وسيلة جديدة في تكنولوجيا البحث الجنائي تستخدم الفحص الالكتروني لجزئيات متناهية الصغر، إذ يستطيع علماء سيتوس تحديد (D.N.A) لشعرة واحدة أو

(1) عبد الواحد ذنون طه، المصدر السابق، ص44-45.
(2) اسد رستم، المصدر السابق، ص59.
(3) حسن حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، بيروت، (د. مط)، 2003، ص 87.
(4) المصدر نفسه، ص 87 -88.
(5) المصدر نفسه، ص 108 - 109.
(6) المصدر نفسه، ص 109.
(7) المصدر نفسه، ص109.

بضع خلايا لو كانت قديمة أو متآكلة، وقد يظن البعض أن هذا الابتكار لا علاقة له بالبحث التاريخي بل على العكس فأن الابتكار المشار اليه يماثل في بعض نتائجه الكاربون المشع(C14) و (C18) الذي بواسطته يمكن تحديد عمر العظام الحديثة أو القديمة للإنسان في أي عصر، اذ يمكن الاستفادة من تلك الاساليب العلمية في مجال الحفريات والآثار وفي مجال التاريخ القديم، وهو بحد ذاته يعد كشفاً علمياُ في مجال الدراسات الآثرية والدراسات القديمة [1].

ومن خلال هذه العلوم الرافدة للتاريخ وهذه المعارف المساعدة على تفسير أحداثه وفهم وقائعه، يمكن القول بأن المؤرخ الواسع الافق والعارف بخصوصيات البحث التاريخي هو الذي يجعل القيم الحضارية منطلقاً له، والبيئة الجغرافية أطاراً لبحثه، والمنظور الفلسفي بعداً لتصوراته، والاثار المادية والوثائق الاصلية مرجعاً له في بحثه، والاهتمامات الاجتماعية والميول النفسية وواقع الحياة اليومية انشغالاً رئيسياً في استقصائه الاسباب ورصده للوقائع وتقيميه للنتائج، وبذلك يمكن أن يصبح التاريخ صورة حية للماضي في مختلف مظاهره ويكون المؤرخ نموذجاً للمثقف الواعي بماضيه والمتفهم لواقعه والمنطلق لمستقبله والمجدد لتراث مجتمعه[2].

استنتاجات البحث

وفي ضوء ما تقدم من العرض السابق نجد بان التاريخ لا يمكن له ان يتمحور حول ذاته في تفسيره للظواهر والاحداث التاريخية، فالتكامل بينه وبين العلوم الاخرى حقق له افضل النتائج في البحث العلمي، ويمكن ان نشير الى اهمية العلوم المتعددة في دراسة التاريخ من خلال النقاط الاتية:

1- اصبح التواصل العلمي بين العلوم المختلفة ضرورة ملزمة لكل تخصص بما يتناسب والتطور التكنلوجي الذي وصل اليه الانسان، وهو الامر الذي استدعى توظيف الوسائل الحديثة في مجال البحث..
2- بحوث التاريخ ذات التنوع العلمي تفتح افاق المؤرخ وتطور مداركه العلمية وتنمي قدراته البحثية.
3- الدراسات العلمية التكاملية يمكن لها ان تستوفي كل شروط البحث العلمي الذي ربما لا ينجح بالاعتماد فقط على التخصص الدقيق، وهذا ينطبق على دراسة التاريخ ايضا
4- لايمكن ان يدرس التاريخ بشكل مستقل عن العلوم المتعددة، واذا ما درس مستقلا بذاته يعطي نتائج منقوصة، يكون البحث بحثا مبتورا.

المصادر:

1- أسد رستم، مصطلح التاريخ، الجيزة، مركز تراث للبحوث والدراسات، 2015.
2- حسن حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، بيروت، (د. مط)، 2003.
3- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف، ط 11، 1993.
4- خالد طحطح، الكتابة التاريخية، المغرب، دار توبقال للنشر، 2012.
5- رحيم يونس العزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، عمان، دار دجلة، 2007.
6- ر.ج. كولنجود، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968.
7- عبد الواحد ذنون طه، أصول البحث التاريخي، اصول البحث التاريخي، بيروت، دار المدار الاسلامية، 2004.
8- فتحية عبد الفتاح النبراوي، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، القاهرة، دراسة الآفاق العربية، ط2، 1996.

[1] المصدر نفسه، ص 91-92.
[2] ناصر الدين سعيدوني، المصدر السابق، ص25.

9- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
10- لأنجلو اوسينوبوس، بول ماس، أمانويل كنت، النقد التاريخي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط4، 1981.
11- محمد موسى الشريف، دراسات تاريخية منهجية نقدية، جدة، نشر وتوزيع الامة، 2016،
12- ـــــــــــ، إعداد المؤرخ الثقة، القاهرة، دار التوزيع والنشر، 2013.
13- ميمونة ميرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، عمان، دار الخليج، 2010
14- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2000.
15- هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، الموصل، جامعة الموصل، مديرية دراسة الكتب للطباعة والنشر، 1988
16- ـــــــــــ، هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، بيروت، دراسة الكتب العلمية، 2007
17- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 2013.
18- هيوغ اتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة: محمود زيد، دار العلم للملايين، ط2، 1982
19- يوسف مصطفى القاضي، مناهج البحوث، وكتابها، الرياض، دار المريخ للنشر، 1979.